المحاضرة الثّامنة: الإرهاصات التّاريخية لعصر النّهضة.

- **ما قبل النّهضة الأدبية في الوطن العربي.**

كان السّبب في تسمية هذا العصر بعصر النّهضة هو أن الأدب العربي –شعره ونثره – نهض في هذا العصر في موضوعاته وأفكاره وصوره وأساليبه ولغته، فصار أدبا قويا مزدهرا يختلف في شكله ومضمونه عن الأدب في العصر العثماني الضعيف المتهالك.[1]

عُرف العصر الأدبي الذي سبق عصر النّهضة بعصر الضعف والانحطاط، لما كان فيه اهتمام بشكليات الأدب على حساب مضمونه، وغاياته؛ وكان ذلك لأسباب متنوعة. ففي فترة حكم الدّولة العثمانية كان الاهتمام بمختلف شؤون المسلمين الذين جمعتهم تحت لوائها، ولكنها انشغلت عن رعاية جانب الحياة الفكرية في مختلف الأقطار العربية، وعن بناء الفرد المسلم بسبب تكالب أعدائها عليها، وانشغالها بالحرب ضدّهم؛ واتّسمت الفترة الأخيرة من حكم الأتراك بإهمالهم اللّغة العربية، وتقصيرهم في فتح المدارس والمعاهد العلمية وعدم الأخذ بأسباب التّطور في سائر الأقاليم العربية. غير أن مظاهر الأدب، عموما، ظلّت موجودة في هذا العصر، من خلال ما كان يروّج في كثير من العواصم العربية الحضرية المعروفة (بغداد، اليمن، مكة، المدينة المنورة، دمشق، القاهرة، حلب)، حيث كان التّعليم على مستوى الكتاتيب والمساجد، أما المدارس فهي قليلة بعض الشّيء، بسبب أنّ الدّولة لم تعتن بها، وبسبب تسلّط الولاة على أوقاف تلك المدارس، ولم تعتن الدّولة الحاكمة آنذاك بالقبائل العربية في الجزيرة العربية والعراق والشّام ومصر، ولم تول اهتماما يذكر بتعليمهم وتوطينهم. ومع ذلك، يرى عمر فروخ: أن الأدب ما زال مستمرا ولم يختف، وأنّ الدّولة جعلت للولاة السّلطة وأعطتهم الحرية، وهم متفاوتون في تشجيع الأدب ودعمه...

وفي السّنوات الأخيرة من حياة الدّولة العثمانية، أنشأ الأتراك جمعية الاتّحاد والتّرقي، التي تبنت بعض المبادئ منها: إحياء المواهب والعمل نحو النّهضة.... وغير ذلك، ... ولكن هذه الجمعية اضطهدت العرب ورفعت من شأن العنصر التّركي، وأجبرت النّاس على التّحدث باللّغة التّركية، وألغت اللّغة العربية فخابت آمال العرب، وأثار حفيظة القوميين منهم.

- **بدايات عصر النّهضة في العالم العربي.**

شكّل الاستعمار الحديث لمختلف أقطار الوطن العربي صفعة للفرد العربي، أدرك منها تأخره، وتذيّله ركب الحضارة الإنسانية، وقد كان لاتصال الشّرق بالغرب فرصة للفرد العربي للاستيقاظ، والنّظر من حوله باحثا عن أسباب التّقدّم؛ فكان من نتاج هذا الاتّصال ما عُرف بعصر النّهضة، حيث حاولت الأمّة رأب الهوة الواسعة بينها وبين سائر الأمم في مختلف المجالات الحياتية؛ وقد اعتمدت هذه النّهضة-بحسب كثير من الدّارسين-على قاعدتين أساسيتين، وهما:

الأولى: الاتصال بالحضارة الأوربية المزدهرة.

والثانية: الاتصال بالتّراث العربي في عهود قوته.

وقد ساعد في هذا الابتعاث الحضاري مجموعة من العوامل، منها: التّعليم، والبعوث العلمية، والرحلات، والهجرة، والتّرجمة، والطّباعة، والمكتبات، والصّحافة، والجماعات الأدبية، والمجامع اللّغوية، والمستشرقون، والمسرح، والإذاعة...

والسّؤال الذي نحاول الإجابة عنه في هذا المقام هو: متى كانت بدايات النّهضة في العالم العربي؟

كانت بداية النّهضة العربية في مصر ولبنان، لأسبقيتهما في الاتصال بالحضارة الأوربية، وفي ذلك يقول الدّكتور علي شلق: «**ولعل مصر ولبنان كانتا أسبق بلاد العرب إلى مشارف التّوعية، وأغزرها عطاء أدبيا نظرا إلى موقعهما على شاطئ البحر المتوسط، ملتقى حضارات الشّرق والغرب، ولما لهما من مكانة علمية، وينابيع للمعرفة، يقبل عليها العطاش من مختلف بلاد العالم. ففي مصر الأزهر العتيد، والجامعة المصرية. وفي لبنان جامعتان آنذاك، ومدارس مختلفة لزرع الضوء فى الأذهان، وأمواج البحر ما فتئت تقدم لهما روادا من الغرب، وتحمل منهما طلابا إلى مختلف جامعاته.**"[2]

– التّحديد الزمني لنشأة الأدب العربي الحديث:

اختلف الباحثون حول تحديد بداية عصر النّهضة الأدبية العربية، والأسباب التي أدّت إليها، فأرجعوا ذلك عموما إلى ثلاثة أسباب، ننطلق منها في تأريخ فترة النّهضة العربية، نذكرها باختصار:

أ) الحملة الفرنسة على مصر (1798م):

أسهمت حملة نابليون بونابارت في إحداث يقظة ونهضة فكرية في مصر، لما حملته معها من وسائل الحضارة والتّطوّر، حيث أُنشأت المطابع، والمجامع العلمية، والمسارح، والصّحف... ولم تدم الحملة الفرنسية على مصر سوى أربع سنوات غير أنّها كانت أشبه بالزلزال الذي هزّ العقل العربي في مصر، وفتح عينيه على ما كان يجهل في كثير من الأمور والوقائع.

وقد تناول الباحث أحمد هيكل، في كتابه (تطور الأدب الحديث في مصر) حديثا عن فترة النّهضة في مصر، وجعل بدايتها من الحملة الفرنسية على مصر، وجعلها في مرحلتين اثنتين:

- **فترة اليقظة**: وتمتدّ من بداية الحملة الفرنسية عام 1213هـ.1798م، حتى سنة 1863م.
- **فترة الوعي**: وتمتدّ من سنة 1863م حتى سنة الاحتلال البريطاني لمصر في: 1882م.

ب) الحركات الإصلاحية:

يرى رأي ثان أنّ الحركات الإصلاحية التي عمّت العالم العربي والعالم الإسلامي، في النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر، وبداية القرن التّاسع عشر، تمثّل البداية الحقيقية للعصر الحديث، وفي مقدّمة تلك الحركات: حركة الشّيخ محمد بن عبد الوهّاب، دعوة الشّيخ جمال الدّين الأفغاني، والشّيخ محمد عبده، والحركة المهدية (بالسّودان)، والحركة السّنوسية (بليبيا)، ودعوة الشّيخ القاسمي (في الشّام) ...

ت) النّزعات القومية:

يذهب رأي ثالث أن النّزوع القومي في الفكر العربي المناهض لمحاولات التّتريك التي عهد إليها العثمانيون في البلاد العربية، هو السّبب في النّهضة العربية، وبخاصة بعد ظهور دستور 1908م، وقيام جمعيات عربية سرّية، كـ:(الاتّحاد والتّرقّي) المناهضة للأتراك.

وبالنّظر فيما سبق من آراء يمكن القول أنّ العوامل الثلاثة السّابقة أرهصت جميعها لعصر النّهضة، وأسهمت فيها في المجالات المختلفة، العلمية، والاجتماعية، والفكرية، والسّياسية.